بالتدريس، فسألته بعض الأيام عن هذا فقال: إنه لا يترك النسخ يوماً واحداً، وإذا عرض ما يمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطراً أو سطرين، فلزمت قاعدته هذه فرأيت في ذلك منفعةً عظيمةً. وكان له رحمه اللَّه ميل إلى السيد العلَّامة أحمد بن مُحمَّد بن إسْحَاق، وخرج معه من صنعاء إلى وصاب أيام وقوع الحرب بينه وبين الإمام المهدي العبَّاس بن الحُسَيْن، وانتفع بصحبته. وكان يعينه على أمور دنياه. وكان له لطائف وظرائف وكلمات مستحسنة، منها أنه كان بعض أبناء الأكابر يتصل به ويقرأ عليه ويديم الجلوس معه وهو فائق الجمال بديع الأوصاف، فتزوج وانقطع عنه فقيل له في ذلك، فقال: انصرف ندمان لوجود ندمانة، فتمَّت له الإشارة إلى الواقع مع مراعاة التوجيه بالقاعدة النحوية على أحسن أسلوب. ولم يزل رحمه اللَّه مستمراً على حاله الجميل حتى توفّاه اللَّه في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف، ورثيته بقصيدة مطلعها: [من الكامل]

هَبْ أنَّ بَدْرَ الأفقِ يوماً يأفلُ أو أنَّه يَهْوي السِّماكُ الأَعْزَلُ[1]

٢٩٥

(السيد عليّ بن إبراهيم بن مُحمَّد بن إسْمَاعيل بن صَلاح الأمير)[2]

حفيد السيد مُحمَّد صاحب التصانيف الآتي إن شاء اللَّه. ولد شهر ذي القعدة سنة ١١٧١ إحدى وسبعين ومائة وألف، وقرأ في العربية والحديث، واستفاد في أسرع مدة، مع أنه لم يشتغل كثيراً، ولكنه مفرط الذكاء سريع الفهم قوي الإدراك جيد الفطنة، يتوقد ذكاءً، فصيح العبارة فائق النظم والنثر، وله مصنفات منها: (السِّرُّ المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون)، و(رسالة في تحريم تحلية السلاح بالذهب)، و(تأنيس أرباب الصفا في مولد المصطفى)، و(كتاب النفحات الربانية واللمحات الرحمانية في إحراز ذخائر الصلات بإبراز ضمائر الصلوات)، و(الفتح الإلهي بتنبيه اللّاهي)، وكلها حسنة. وحجّ مراتٍ، وتردّد ما بين صنعاء ومكة، ومال إلى الأدب، ونظم القصائد الطنانة والمقاطيع الحسنة، وأكثر من ذلك، واشتهرت أشعاره، وطارت في الأقطار اليمنية، واشتغل بها الناس وكتبوها وحفظوها، وكان يكثر من مطارحة الأدباء ومجالستهم ومجاذبتهم لِلَّطائف وفنون الأدب. ثم انجمع وترك الشعر، والتفت إلى العبادة والأذكار والوعظ وتعليم العامة

(١) يأفلُ: يغيبُ. السِّماك الأعزل: نجم نَيِّرٌ يطلع في الجنوب، يقابله السِّماك الرامح في الشمال.
(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٧؛ نيل الوطر: ٢/ ١١٠؛ هدية العارفين: ١/ ٧٧٤؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٦٦٤؛ الأعلام: ٤/ ٢٥٢.

أمور الدين، فعقد مجالس بجامع صنعاء وبغيره من مساجدها، وبجامع الروضة. وكان يجتمع عليه جمعٌ جمٌّ. ورغب الناس إليه وأقبلوا على وعظه، وكان ينحدر عندما يتكلم عن الناس من أول المجلس إلى آخره، لا يتلعثم في عبارة، ولا يتردَّد في لفظٍ، كأنه يملي من كتاب، ويستطرد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويسرد من ذلك شيئاً كثيراً بعبارة حسنة ومسالك مستحسنة. وجمع مجاميع حسنة منها: رسالة في تفسير ألفاظ الأذان، وأخرى في تحريم التحلي بالذهب، وله من ذلك أشياء نفيسة. وله فصاحة وبراعة وقوة نفس وعفة وإنكار للمنكر بما يستطيعه وتبلغ إليه قدرته، وكثيراً ما يصل إليّ إذا حدث شيء من ذلك، ولا يزال حتى أساعده على القيام في دفع ذلك الحادث. وأحواله كلُّها حسنة. وله في الذبِّ عن الغيبة والنميمة غاية كاملة لا يدع أحداً يذكر أحداً بسوء في مجلسه. وله أذكار وصبر على تعليم العامة ما يهمُّهم من أمر دينهم. وهو الآن مُستمرٌّ على هذه الأحوال الجميلة، وللناس به انتفاع كثير، ومع هذا فلم يسلم من المنافسة له والمبالغة في الحطِّ عليه والتظهر بِثَلْبِه، وهو صابر محتسب. وقد كتب إليَّ أبياتاً بعد تركه لِنظم الشعر وهي: [من الرمل]

طَبْلُ شَيْطاني ومِزْمَارُ الهَوَى ... ضَرَبا والنَّفْسُ باتتْ تَرْقُصُ
وَرِياضُ القَلبِ قَدْ أهْمَلَها ... عَدمُ التَّقوى فباتتْ تَنْقُصُ
أعربُ اللفظَ بِقُرآني وَكَمْ ... ألحنُ المَعْنَى فَهَلْ لي مَخْلَصُ
يا لَقَوْمي لم أجدْ مُحْتَسِباً ... فاضلاً عنْ مُنكراتي يَفْحَصُ[1]
فَعَسَى رَبّي بجاهِ المُصْطَفى ... يُذْهِبُ الدَّا فَتزولُ الغُصَصُ[2]

فأجبته عنه بقولي: [من الرمل]

قَدْ شَقَقْتَ الطَّبْلَ والمِزْمَارَ ما ... مِثْلُكَ اليومَ لِزَمْرٍ يَرْقُصُ
وَكَذَاكَ النَّفسَ قَدْ ألجمتَها ... بِلجامِ الزّهدِ وَهْوَ المَخْلَصُ[3]
أنتَ لا تَفْحَصُ عن عَيْبِ امرِىءٍ ... تبَّ مَنْ ظلَّ لِعَيْبٍ يَفْحصُ[4]
فَرُضِ النفسَ إذا زاد الَهَوَى ... فَهو إنْ مَا رُضتها يَنْتقِصُ[5]
يا لَحَا اللَّه أناساً كلّما ... لاحَ للأطماعِ بَرْقٌ بَصْبَصوا[6]

(١) يَفْحَصُ: يبحثُ ويُفتِّشُ.
(٢) الدا: الداء. الغُصَصُ: جمع الغُصَّة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.
(٣) لَجَمَ النفس: كفَّها وزَجَرها.
(٤) تَبَّ فلان: هَلَكَ وخَسِر.
(٥) راض النفس: ذلَّلها وكبح جماحها.
(٦) لاح الشيء: بدا وظهر. بصبص الكلب: حرّك ذنبه طمعاً وملقاً، استعاره للإنسان.

وإذا نَـالَ الـفـتَـى مَـكْـرُمـةً كـانَ مِـنْ ذاكَ لَـديْـهـم غَـصَـصُ

وهو الآن ما بين الأربعين والخمسين من عمره، دامت فوائده. ثم (مات) رحمه اللَّه في شهر ذي الحجة سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف. (ووالد المترجم له) هو من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء، جامع بين الشريعة والطريقة، عارف بفنون من العلم لا سيما الحديث والتفسير. وله في التصوف والتسليك يدٌ طولى. قرأ على والده وعلى غيره، وأقرأ في جامع صنعاء في صحيح البخاري وغيره، وله في الوعظ يد طولى، وقد قعد لذلك في مواطن، فانتفع به الناس. ثم رحل إلى مكة واستوطنها بسبب أمور جرت له مشتملة على امتحانات. وهو الآن مقيم هنالك، وقد رغب عن الرجوع إلى اليمن. وهو وافر الجاه عند أهلها عظيم الحرمة رفيع الدرجة. وصار هنالك مأوى لمن دخل مكة للحج من أعيان أهل اليمن. وقد كتب إليّ كتاباً يتضمن المعاهدة، ولم يكن قد عرفني قبل ارتحاله إلى هنالك، لأني كنتُ إذ ذاك في أيام الصغر، وأنا رأيته مرة واحدةً يصلي بالناس في بعض المساجد بصنعاء فسمعت قراءة فائقة بصوت مطرب مع هيئة جميلة وشيبة منورة. وله مصنفات في الوعظ والرقائق والتصوف، وهي مشحونة بالفصاحة والبلاغة. وهو كان يستحق إفراده بترجمة ولكن اكتفيت بذكره ههنا. (ومات) ثاني عشر شوّال سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف، ومولده سنة ١١٤١ إحدى وأربعين ومائة وألف. ومن مصنفاته (الفلك المشحون شرح أسماء من يقول للشيء كن فيكون)، شرح للأربعين الجوهرية. وله تفسير غريب الأسلوب سمَّاه (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن)، كتب منه مجلداً ضخماً. وجمع مجموعاً في ترجمة والده ذكر فيه مؤلفاته وشيوخه وتلامذته وقد وقفت على جميع ذلك، وولده (يُوسُف بن إبراهيم) ساكن عنده هنالك، وهو من المشتغلين بالعلم والزهد وسلوك طريق الخير والعبادة والاشتغال بأمر الآخرة. وله في الأدب مَسْرَحٌ قويٌّ. وهو أصغر من أخيه عَليّ المُترْجَم له. وقد خرج إلى صنعاء، وسمعت تلاوته، وهي تلاوة فائقة بنغمات رائقة. ورأيته يقرأ على عمّه عبد اللَّه بن مُحمَّد المتقدم ذكره في مدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء، في صحيح البُخاري[1].

(٢٩٦)

(عَليّ بن أحمد بن رَاجِح بن سَعِيد)

وزير الإمام المنصور باللَّه الحُسَيْن بن القَاسِم. كان من محاسن الدهر في الكرم

(١) توفي يوسف بن إبراهيم ليلة الثلاثاء، لِستٍّ بقين من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م. وكانت ولادته سادس عشر ذي الحجة سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م.